التفسير المنسوب لابن عربي (ت 638 هـ) مصنف و مدقق

{ قَالَ ذٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصاً } * { فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَآ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً } * { قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً } * { قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً } * { وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً } *{ قَالَ سَتَجِدُنِيَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أمْراً } * { قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْني عَن شَيءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً } * { فَٱنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً } * { قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً } * { قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً }

{ قال ذلك } أي: تملُص الحوت واتخاذه سبيله الذي كان عليه في جبلته { ما كنا } نطلبه، لأن هناك مجمع البحرين الذي وعد موسى عنده بوجود من هو أعلم منه، إذ الترقي إلى الكمال بمتابعة العقل القدسي لا يكون إلا في هذا المقام { فارتدّا على آثارهما } في الترقي إلى مقام الفطرة الأولى كما كانا أولاً يقصّان { قصصاً } أي: يتبعان آثارهما عند الهبوط في الترقي إلى الكمال حتى وجد العقل القدسي، وهو عبد من عباد الله مخصوص بمزية عناية ورحمة { آتيناه رحمة من عندنا } أي: كمالاً معنوياً بالتجرّد عن المواد والتقدّس عن الجهات. والنورية المحضة التي هي آثار القرب والعندية { وعلمناه من لدنا علماً } من المعارف القدسية والحقائق الكلية اللدنية بلا واسطة تعليم بشريّ. وقوله: { هل أتبعك } هو ظهور إرادة السلوك والترقي إلى الكمال { إنك لن تستطيع معي صبراً } لكونك غير مطلع على الأمور الغيبية والحقائق المعنوية لعدم تجرّدك واحتجابك بالبدن وغواشيه، فلا تطيق مرافقتي، وهذا معنى قوله: { وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً قال ستجدني إن شاء الله صابراً } لقوّة استعدادي وثباتي على الطلب { ولا أعصي لك أمراً } لتوجهي نحوك وقبولي أمرك، لصفائي وصدق إرادتي. والمقاولات كلها بلسان الحال.

{ فإن اتّبعتني } في سلوك طريق الكمال { فلا تسألني عن شيء } أي: عليك بالاقتداء والمتابعة في السير بالأعمال والرياضات والأخلاق

والمجاهدات، ولا تطلب الحقائق والمعاني { حتى } يأتي وقته، فـ { أحدث لك منه } أي: من ذلك العلم { ذكراً } وأخبرك بالحقائق الغيبية عند تجرّدك بالمعاملات القالبية والقلبية { فانطلقا حتى إذا ركبا } في سفينة البدن البالغ إلى حدّ الرياضة الصالح للعبودية إلى العالم القدسي في بحر الهيولى للسير إلى الله { خرقها } أي: نقصها بالرياضة وتقليل الطعام وأضعف احكامها وأوقع الخلل في نظامها وأوهنها { قال أخرقتها لتغرق أهلها } أي: أكسرتها لتغرق القوى الحيوانية والنباتية التي فيها في بحر الهيولى فتهلك { لقد جئت شيئاً إمراً } وهذا الإنكار عبارة عن ظهور النفس بصفاتها وميل القلب إليها، والتضجر عن حرمان الحظوظ في الرياضة، وعدم القناعة بالحقوق. { قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً } تنبيه روحي وتحريض قدسي على أن العزيمة في السلوك يجب أن تكون أقوى من ذلك { قال لا تؤاخذني بما نسيت } إلى آخره، اعتذاره في مقام النفس اللوّامة.

{ فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً } هو النفس التي تظهر بصفاتها فتحجب القلب فتكون أمّارة بالسوء. وقتله بإماتة الغضب والشهوة وسائر الصفات { أقتلت نفساً زكية } اعتراض لتحنن القلب على النفس و { ألم أقل لك } تذكير وتعبير روحي و { إن سألتك عن شيء } إلى آخره، اعتذار وإقرار بالذنب واعتراف، وكلها من التلوينات عند كون النفس لوّامة.

{ فانْطَلَقا حتى إذا أتيا أهل قرية } هم القوى البدنية، واستطعامهما منهم هو طلب الغذاء الروحاني منهم، أي: بواسطتهم كانتزاع المعاني الكلية من مدركاتها الجزئية وإنما أبوا أن يضيفوهما وإن أطعموهما قبل ذلك لأن غذاءهما حينئذ كان من فوقهم من الأنوار القدسية والتجليات الجمالية والجلالية والمعارف الإلهية والمعاني الغيبية لا من تحت أرجلهم كما كان قبل خرق السفينة، وقتل الغلام بالرياضة والقوى والحواس مانعة من ذلك لا ممدة، بل لا تتهيأ إلا بعد نعاسهم وهدوّهم كما قال موسى لأهله: امكثوا. والجدار الذي { يريد أن ينقض } هو النفس المطمئنة وإنما عبر عنها بالجدار لأنها حدثت بعد قتل النفس الأمّارة وموتها بالرياضة، فصارت كالجماد غير متحركة بنفسها وإرادتها، ولشدة ضعفها كادت تهلك، فعبر عن حالها بإرادة الانقضاض. وإقامته إياها تعديلها بالكمالات الخلقية و الفضائل الجميلة بنور القوة النطقية حتى قامت الفضائل مقام صفاتها من الرذائل. وقول موسى عليه السلام: { لو شئت لتخذت عليه أجراً } تلوين قلبي لا نفسي، وهو طلب الأجر والثواب باكتساب الفضائل واستعمال الرياضة، ولهذا أجابه بقوله:

{ هذا فراق بيني وبينك } أي: هذا هو مفارقة مقامي ومقامك ومباينتهما والفرق بين حالي وحالك، فإن عمارة النفس بالرياضة والتخلق بالأخلاق الحميدة ليست لتوقع الثواب والأجر وإلا فليست فضائل ولا كمالات لأن

الفضيلة هي التخلق بالأخلاق الإلهية بحيث تصدر عن صاحبها الأفعال المقصودة لذاتها لا لغرض. وما كان لغرض فهو حجاب ورذيلة لا فضيلة والمقصود هو طرح الحجاب وانكشاف غطاء صفات النفس، والبروز إلى عالم النور لتلقي المعاني الغيبية بل الاتصاف بالصفات الإلهية بل التحقق بالله بعد الفناء فيه لا الثواب كما زعمت { سأُنَبِّئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً } أي: لما اطمأنت النفس واستقرّت القوى أمكنك قبول المعاني وتلقي الغيب الذي نهيتك عن السؤال عنه حتى أحدث لك منه ذكراً فسأذكر لك وأنبئك بتأويل هذه الأمور إذا استعددت لقبول المعاني والمعارف.

{ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً } * { وَأَمَّا ٱلْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً } * { فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَـاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً }

{ أما السفينة فكانت لمساكين } في بحر الهيولى، أي: القوى البدنية من الحواس الظاهرة والقوى الطبيعية النباتية، وإنما سماها مساكين لدوام سكونها وملازمتها لتراب البدن وضعفها عن ممانعة القلب في السلوك والاستيلاء عليه كسائر القوى الحيوانية. وحكي أنهم كانوا عشرة إخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر، وذلك إشارة إلى الحواس

الظاهرة والباطنة { فأردت أن أعيبها } بالرياضة لئلا يأخذها ملك النفس الأمّارة غصباً وهو الملك الذي كان وراءهم أي: قدّامهم { يأخذ كل سفينة غصباً } بالاستيلاء عليها واستعمالها في أهوائه ومطالبه { وأما الغلام فكان أبواه } اللذان هما الروح والطبيعة الجسمانية { مؤمنين } مقرين بالتوحيد لانقيادهما في سلك طاعة الله وامتثالهما لأمر الله وإذعانهما لما أراد الله منهما { فخشينا أن يرهقهما } أي: يغشيهما { طغياناً } عليهما بظهوره بالأنائية عند شهود الروح { وكفراً } لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه أو كفراً بالحجاب فيفسد عليهما أمرهما ودينهما ويبطل عبوديتهما لله { فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة } كما بدّلهما بالنفس المطمئنة التي هي خير منه زكاة، أي: طهارة ونقاء { وأقرب رحماً } تعطفاً ورحمة لكونها أعطف على الروح والبدن وأنفع لهما، وأكثر شفقة. ويجوز أن يكون المراد بالأبوين الجدّ والأب، فكان كناية عن الروح والقلب. وكونه أقرب رحماً أنسب لهما وأشدّ تعطفاً.

Qadry